الاخلاق في قلب أفريقية

كان لورد رغلن Lord Raglan حاكماً في اوغندا جنوبي بلاد السودان فكتب في جزء ابريل من مجلة القرن التاسع عشر واصفاً احوال السكان من حيث نظرهم الى الحقوق ونسبتهم الى الحكومة ومعاملة الحكومة لهم فاقتطفنا من وصفهِ ما يلي

قال : — تضاربت الآراء في هل الافضل اختيار البوليس في مثل تلك البلاد من الوطنيين او من الاجانب فالبعض يفضلون البوليس الاجنبي لانهُ يمكن الاعتماد عليهِ اكثر مما على الوطني اما انا فافضل البوليس الوطني للاسباب التالية

الاول : انهُ يعرف البلاد ولسان اهلها

والثاني : انهُ يسهل استخدامهُ والاستغناء عنهُ من غير نفقة كبيرة

والثالث: انهُ اذا ترك الخدمة وعاد الى قومهِ يكون قد أَلِف النظام واساليب الحكومة فيصير واسطة بين الاهالي والحكومة

ولقد لقيت اكبر مساعدة من الرجال الذين كانوا في خدمة الحكومة حتى الذين فصلوا من الخدمة لسوء تصرفهم

انواع العقاب ثلاثة السجن والتغريم والضرب . وهم لا يكرهون السجن الاَّ لانهُ يبعدهم عن نسائهم وعن المسكرات ولذلك يغلب هربُهم منهُ واذا هرب سجين تعذر عقاب البوليس الذي كان يحرسهُ لانك اذا عاقبتهُ صار دأبهُ اطلاق الرصاص على كل سجين حاول الهرب او يظن انهُ يحاول الهرب وحينئذٍ يشيع في البلاد ان كل من يؤخذ بجناية يُقتل رمياً بالرصاص فيتعذر القبض على الجناة

ومن الحوادث التي تذكر في هذا الباب ان سجينين كانا يعملان خارج السجن ومعهما رجل من البوليس يحرسهما فهرب احدهما واختفى بين الادغال فاقتفى الحارس خطواتهِ بعد ان نزع قبعتهُ ومنطقتهُ واعطاها للسجين الآخر فلم يهرب هذا بل عاد بهما الى السجن

وهرب سجين من السجن ذات ليلة مع انهُ محكوم عليهِ بالسجن مدة طويلة لانهُ قاتل فاقتفى البوليس اثرهُ في الصباح فوجدهُ راجعاً الى السجن من تلقاء نفسهِ . ولما سئل عن سبب هربهِ قال انهُ لم يهرب ولكن بلغهُ ان ابنهُ توفي فذهب ودفنهُ ثم عاد ادراجهُ

كنت مرةً سائراً في خف جبل بعيد عن مركز الحكومة فرأيت في اعلاهُ قرية لم ارَها من قبل ثم علمت ان اناساً هربوا من وجه الحكومة وسكنوا هناك فسرت في طريقي وارسلت بعض رجالي ليطوقوا القرية عند الفجر فقابلهم اهلها برشق الحراب وهربوا كلهم ما عدا رجلاً فقبضوا عليهِ واتوني بهِ فحكمت عليهِ بالحبس مدة قصيرة لانهُ لم يدفع الجزية المطلوبة منهُ لكنهُ هرب من الحبس وبعد يومين وعاد يحمل كيساً من الذرة وقال لي انه كان يعلم ان زوجتهُ مريضة وليس عندهُ من يأتي بالجزية فذهب وآتى بها

وزرت مرةً قرية لم يزرها احد من قبلُ فهرب السكان حسب عادتهم واختفوا مني في الادغال وبعد قليل اتاني رجل وسلم عليَّ مرحباً بي وقال انهُ يعرفني لانهُ كان في السجن . وبعد حديث قصير ذهب وعاد اليَّ بكل اهل القرية . والظاهر انهم لا يحسبون السجن عاراً بل هو عندهم نتيجة اختلاف بينهم وبين الحكومة

هذا من جهة السجن اما التغريم فكانت العادة المتبعة انهُ اذا اتعبت قرية الحكومة فالحكومة تغرمها باخذ بعض مواشيها وهذا اسلوب ضار يجب ابطالهُ لانهُ يفقر السكان ويجعلهم يعتقدون ان غرض الحكومة الكسب لا اقامة العدل

والضرب يستعمل عقاباً لرجال البوليس فقط لانهُ افعل بهم من السجن واقل نفقة منهُ . ضرب احد رجال البوليس زوجتهُ ضرباً مبرحاً وكسر يدها فامرت بضربهِ ليكون عبرةً لغيرهِ وبعد يوم او يومين جاءني رجل آخر من رجال البوليس بزوجتهِ وهو يقول عدت امس الى البيت فوجدت انها لم تعدّ لي شيئاً اشتهيهُ وتصدت ضربها ولكنني خفت ان تغتاظ مني فاتيتك بها . فامرت بضربها

القتل عمداً نادر جدًّا في افريقية . واذا كان اتفاقاً فاهل القاتل يدفعون دية القتيل فيكتفي الطرفان ولذلك لا يفهمون لماذا تعاقب الحكومة القاتل بالسجن بعد دفع الدية . والدية في بعض الاماكن فتاة يتزوجها اقرب اقارب القتيل او يزوجها لآخر ويأخذ منهُ مهرها . وكنت آمر احياناً بان تكون الدية من مواشي القاتل

وهم يستحلّون قتل المعيان (الشديد الاصابة بالعين) ومن يستحيل ثمراً ادعى رجل على امرأة انها استحالت ثمرةً وقتلت خروفهُ فأتى بالمرأة وسئلت اصحيح انكِ تقدرين ان تستحيلي ثمرة

فقالت نعم وكان ابي يفعل ذلك ايضاً ونحن من بيت يستحيل كلهُ عورة

فقلت لماذا قتلتِ غنم هذا الرجل

فقالت لم اكن قاصدة ذلك ولكن فلاناً الجاني اليهِ

فأُتي بالرجل الذي سمّتهُ وسئل لماذا الجأتَ هذه المرأة الى قتل خروف هذا الرجل

فقال لان ابنهُ اخذ زوجة ابني

فقلت واين هي الآن

فقال لقد خاف لما قتلت المرة غنمهُ فترك الزوجة وعادت الى ابي

فقلت اذن يجب ان تدفع ثمن الخروف

فقال « امرك » وانتهت المسألة

ولا يتزوج احد بامرأة ما لم يعطِ مهرها لذويها والمهر اما من البقر او الغنم او الحديد او الخرز او النقود . وقد يعمل الزوج لحميهِ مدة طويلة او قصيرة بدل المهر او جزءاً منهُ . ويكثر تطليق الرجال لنسائهم وهجران النساء لازواجهنّ ولا بدّ من دفع الصداق او التعويض في هذه الحالات وكثيراً ما تقوم بينهم الخصومات في امر الصداق ومن امثلة ذلك ما يأتي وهي من المشكلات

(١) فتاة كانت ذاهبة من بيت ابيها الى بيت خطيبها فوقعت عليها صاعقة قتلها فهل يلزم الخطيب بدفع الصداق

(٢) رجلان لا يملكان شيئاً من المواشي تزوج كلٌّ منهما اخت الآخر بدل المهر ثم هربت زوجة احدهما من زوجها فهل يحق لهُ ان يسترد اختهُ

(٣) اعطى طالب بقرةً لرجل مهراً لابنتهِ لكن الرجل عدل عن تزويجهِ بها وزوّجها برجل آخر فطالبهُ الطالب بالبقرة فادعى انها كانت مريضة وماتت يوم اخذها

(٤) اخذ شيخ ابنة دية قتيل لا يعترف والداها انهما مطالبان بديتهِ ثم توفي هذا الشيخ فازوجها والداها من رجل آخر فطلب ورثة الشيخ مهرها منه

واذا دلت بعض الحوادث على ان اخلاق الاهالي ليست على ما يرام فيكون السبب الاكبر ان رجال البوليس يخبرون بمساوىء ابناء وطنهم ويغضون عن حسناتهم . ولا شبهة انهم ارأف باولادهم من الاوربيين باولادهم على ما اعلم

اسماعيل صبري باشا

مقتطف مايو ١٩٢٣